عذابنا بياتا يعني ليلا وهم نايمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون يعني وهم ساهون لاهون غافلون
عن ما يراد بهم والمقصود من الاية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهي حال النوم بالليل وحال
الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون
المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب ايضا لانه يضر ولا ينفع افامنوا مكر الله يعني استدراجه اياهم بعذابه من حيث
لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى الاخذ بروسمي هذا العذاب مكرا لنزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون
به فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها يعني انه لا يامن ان يكون ما اعطاهم
من النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر واهلكه وهلك اهلكنا الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم يعني ولو نشاء اخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم ونطبع اي ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون
يعني لا يسمعون موعظة ولا يتقبلون الايمان ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز ان يكون
معطوفا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو نشاء طبعنا على قلوبهم تلك القرى يعني هذه القرى
الذي ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك من انبائها يعني
نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا لننصر رسلنا والذين امنوا معهم
على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم ولقد جاءتهم يعني لاهل تلك القرى رسلهم بالبينات يعني جاءتهم
بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف اهل التفسير في معنى ذلك
فقيل معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين اهلكناهم من اهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك
وهم يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن
عباس والسدي قال السدي امنوا كرها يوم الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ومعاينتهم العذاب
ليؤمنوا بما كذبوا قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجي الرسل بما سبق لهم في علم الله انهم يكذبون به حين
اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال ابي بن كعب كان سبق لهم علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يؤمنون به وقال
الربيع بن انس يحق على العباد ان ياخذوا من العلم ما ابدى لهم ربهم وان لا يتناولوا علم ما اخفى الله عنهم فان علمه نافذ فيما
كان وما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله
على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم ايهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في صلب ادم عليه السلام قال الطبري واولى الاقوال
بالصواب قول ابي بن كعب والربيع بن انس وذلك من سبق في علم الله انه لا يؤمن فلا يؤمن ابدا وقد كان سبق
في علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة انهم لا يؤمنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا
بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل مجي الرسل وعند مجيهم اليهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين يعني كما طبع
على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يؤمنون من
قومك وما وجدنا لاكثرهم من عهد يعني وما وجدنا لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا
خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذي عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم اخذ الميثاق قال ابن عباس انما اهلك
الله اهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم به وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي وما وجدنا اكثرهم الا فاسقين
خارجين عن طاعتنا وامرنا قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم موسى يعني ثم بعثنا بعد الانبياء الذين تقدم
ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام موسى باياتنا يعني بحججنا وادلتنا الدالة على
صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الايات التي جاء بها موسى عليه السلام الى فرعون وملايه قيل ان كل من ملك

مصر

مصر كان يسمى فرعون قبل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي ارسل
اليه موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملا الاشراف من قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا امن
الاشراف امن الاتباع فظلموا بها يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشي في غير موضعه ولما كانت هذه الايات معجزات ظاهرة
قاهرة ثم كفروا بها فوضعوا الكفر موضع الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف
فعلنا بهم وكيف اهلكناهم وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين يعني ان موسى لما دخل على فرعون دعاه
الى الله والى الايمان بربه وقال له اني رسول يعني اليك مرسل والى قومك من رب العالمين يعني ان الله الذي خلق الخلق
وهو سيدهم ومالكهم هو الذي ارسلني اليك حقيق اي واجب على ان لا اقول على الله الا الحق يعني انا رسول والرسول لا يقول
على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره قد جئتكم ببينة من ربكم يعني ببرهان على صدق ما ادعي
من الرسالة والمراد ببينته معجزته وهي العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من تبليغ رسالته
رتب على ذلك الحكم فقال موسى فارسل معي بني اسرائيل يعني خل عنهم واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل
واستعملهم في الاعمال الشاقة قال فرعون ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين يعني ان فرعون
قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك فاتني بها
واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي بين والثعبان
الذكر من الحيات وصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصف في اية اخرى كانها جان والجان
الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين بانها كانت في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة
وهي الجان قال ابن عباس والسدي انه لما القى العصا صارت حية عظيمة صفرا شعرا فاغرة فاها بين لحييها ثمانون
ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى على سور القصر
وتوجهت نحو فرعون لتاخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا واحدث وقيل انه احدث في ذلك اليوم اربعماية مرة
وقيل انها اخذت قبة فرعون بين نابيها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك
اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى انشدك بالذي ارسلك ان تاخذها وانا اومن بك
وارسل معك بني اسرايل فعادت عصى كما كانت وفي كون الثعبان مبينا وجوه الاول انه تبين وتميز ذلك
عما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تتميز معجزات الانبياء عن تمويه السحرة وتخييلهم الوجه الثاني انهم شاهدوا
العصا قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين اي بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان
لما كان معجزا لموسى عليه السلام كان بان صدقه في قول موسى واني رسول من رب العالمين ونزع يده النزع في اللغة
عبارة عن اخراج الشي عن مكانه والمعنى انه اخرج من جيبه او من تحت جناحه فاذا هي بيضاء للناظرين قال ابن عباس رضي
اخرج يده من جيبه فراها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص وقيل ان موسى ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه
وقيل اخرج يده من تحت ابطه فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه السلام ادم اللون ثم ردها
الى جيبه واخرجها فاذا هي كما كانت ولما كان البياض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في اية اخرى
بيضاء من غير سوء يعني من غير برص والمعنى فاذا هي بيضاء للناظرين ولا يكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا
عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه **فصل** في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسول اعلم ان الله تبارك
وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم
دينه وجميع تكليفاته وذلك الرسول بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم احكامه وجائز ان يكون ذلك
الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز ان يكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع اممهم ولا مانع لهذا من جهة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)